- سلسلة / *تاريخ القران*
- للأستاذ/ *أبو زياد النحوي*

ماجيستير اللغة العربية والدراسات اللغوية

• مسألة جمع القرءان في المصاحف (١) ...

- كان جبريل - عليه السلام - ينزل بالوحي على الرسول - عليه الصلاة والسلام - مرة ينزل بسورة ، كسورة الأنعام ، نزل بها كاملة و معه سبعون الف ملك يحملونها ، و مرة ينزل بآية واحدة ، وقد ينزل ببضع آيات ، و كانت هذه الآيات والسور تتنزل على قلب الرسول – عليه الصلاة والسلام - بكيفية لا يعلمها إلا الله ، إلا أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - كان يشعر بتعب شديد وقت نزولها ، و كأنه في غيبة عن الحياة ، ثم ينفصل عنه الوحي و قد حفظ كل شئ و وعاه ،قال سبحانه : « نزل به الروح الأمين . علي قلبك » سورة الشعراء ،فكان قلب الرسول - صلي الله عليه وسلم - هو الوعاء الذي نزل فيه القرءان كله ، ولكن كيف نزل فيه ؟ هذا لا نعلمه ، ثم ماذا ؟ ثم يدعو الرسول - عليه الصلاة والسلام - الصحابة المعروفين بالكتابة والقراءة ، فيقرأ عليهم ما نزل عليه من القراءن ، ثم يقرؤون وراءه ، فيصحح لهم ، وكل ذلك في حضرة جبريل عليه السلام ، ثم يأمرهم بكتابة ما نزل من الوحي ، فيكتبون ، فيقرهم عليه في حضرة جبريل عليه السلام ، فينصرفون بما كتبوه ، في قطع من الجلد و جريد النخل و ما تيسر لهم من الأشياء الصالحة للكتابة عليها ، وظل الأمر هكذا حتي مات رسول الله - صلي الله عليه وسلم - و القرءان كله قد كتبه الصحابة بحضرة الحبيب و بحضرة جبريل عليهما الصلاة والسلام ..

- فوائد علي ما سبق :

1- القرءان نزل علي قلب الرسول - عليه الصلاة والسلام - ...

2- كان جبريل يقرأ و رسول الله يقرأ وراء جبريل ..

3- كون القرءان ينزل علي قلب الرسول ، فهذا يدل على طهارة

قلب الحبيب محمد ، لأنه صار وعاء لأشرف كلام ...

4- الصحابة كتبوا القرءان كله في حضرة الرسول و معه جبريل

عليهما الصلاة والسلام ...

• مسألة جمع القرءان في المصاحف (٢) ..

- المصحف الصديقي : الذي جمعه الصحابة في زمن أبي بكر ...

- لما مات رسول الله - عليه الصلاة والسلام - تولى شئون الأمة بعده الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ، و كانت مدة خلافته : عامين ونصف تقريبا ، و في هذين العامين اشتعلت الحروب ،و حدثت حروب الردة المشهورة ، حيث ارتد قوم عن الإسلام ، و قالوا : لو كان محمد نبيا لما مات ، و قال آخرون : إننا كنا ندفع الزكاة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلن نعطيها

لأحد بعده ، وزعم آخرون أن مسيلمة الكذاب نبي مرسل ، و رجع قوم إلى عبادة الأوثان ، وبدأ أبوبكر يجهز الجيوش لقتال المرتدين ، و شارك كل الصحابة في هذه المعارك ، فماذا حدث ؟ الذي حدث أن عددا كبيرا من حفاظ القرءان و قرآءه ، قد رزقهم الله الشهادة في هذه الحروب و المعارك العنيفة ،و هنا : خاف الشهم النبيل الكريم عمر بن الخطاب من مصيبة كبيرة و بلوى عظيمة ، و أسرع إلى أبي بكر الصديق ليقابله و يحكي له ما يخافه و يحذر من وقوعه ، فقال له :

يا خليفة رسول الله : إن عددا كبيرا من حفاظ القرءان و قرآءه قتلوا في سبيل الله ، و إني أخاف من ضياع القرءان بموت من يحفظه و من يحسن تلاوته ، و هنا خاف الخليفة أبوبكر من ضياع القرءان ، و أشار عليه عمر بن الخطاب بجمع القرءان كله في مصحف واحد ، ثم بدأت الإجراءات في جمع القرءان ...

- فوائد على ما سبق :

1- خوف الصحابة الكرام على القرءان من الضياع ،

فلذلك اجتمع بن الخطاب مع أبي بكر لأجل ذلك ..

2- فضيلة عمر بن الخطاب ، فهو صاحب مشروع جمع القرءان ..

3- اهتمام الخليفة أبي بكر بأمور الدين ، فقد اهتم بمشورة عمر ..

- ## مسألة جمع القرءان في المصاحف (٣) ...

- المصحف الصديقي : الذي جمعوه في عهد أبي بكر الصديق ..

- و لما سقط أهل القرءان و حفظته شهداء في حروب الردة ،نهض الأمير الهمام الشهم عمر بن الخطاب ، و أشار على الخليفة الراشد العاقل أبي بكر الصديق ، بجمع أشرف كلام و أحسنه في مصحف واحد ، فاستجاب الخليفة لطلبه ، فماذا حدث ؟ أمر الخليفة أبوبكر بإحضار الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري ،و حكى له ما يخافه و يحذره من ضياع القرءان ، و كان ذلك بحضرة عمربن الخطاب ، ثم كلفه بجمع القرءان كله في مصحف واحد ، و أعانه بما يحتاجه من الرجال ، منهم الكتبة ، و كان زيد بن ثابت الأنصاري من أهل القراءة والكتابة ، و ممن كتبوا لرسول الله- صلى الله عليه وسلم - فكان من كتبة الوحي في عهد النبوة .- و كانت مهمة كبيرة شاقة على زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ،قال عنها : والله لو كلفاني (يقصد : الصديق والفاروق عمر) بنقل جبل من مكانه ، لما كان بأهون من ذلك .. انتهى كلامه ..فكانت مهمة كبيرة ، وبدأ زيد بن ثابت في إجراءات جمع القرءان ،فطلب من الحفاظ و القرآء ، و من كل من كتب القرءان عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن يأتيه بما كتبه ، فجاء الناس إليه طائعين خاضعين ، متعاونين معه ، كل واحد بما كتب ، فيدخل عليه الرجل بالسورة ، و الرجل بالإية ، و بأكثر و أقل ،فيقول له زيد : هل معك من يشهد أنك سمعت ذلك من رسول الله ؟ فإذا قال الرجل نعم ، قبله منه و أخذه ، فلم يكن يتساهل في قبول حرف واحد ، بل يطلب الشهود ، و يتحرى و يتثبت ، و معه لجان من أهل العلم و الدين من

الصحابة ، حتى جمع كل المكتوب ، ثم بدأ يرتبه بترتيب رسول الله - عليه الصلاة والسلام ، فكان جمع القرءان هكذا بطريقة محكمة ، و كان ترتيبه ربانيا ،بترتيب الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام ..

- فوائد على ما سبق :

1- بيان فضل الصحابة الكرام ، فهم الذين صانوا القرءان و حفظوه لنا ، و جمعوه في مصحف واحد ..

2- معرفة من كتب القرءان و جمعه في مصحف واحد ، وهو :الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري ..

3- أن القرءان صانه الله من الضياع و التحريف بفضله سبحانه ،ثم بجهود الصحابة الكرام ..

- جمع القرءان في المصاحف (٤)..

- تسمية المصحف و الوسائل المستخدمة في كتابته ..

. أولا : تسمية القرءان المجموع بالمصحف ...

و لما أتم زيد بن ثابت الأنصاري جمع القرءان على الطريقة التي عرفناها ، أطلق زيد عليها اسم « المصحف » فقد روى السيوطي عن ابن أَشْتَةَ في كتابه المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال:

"لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسما، فقال بعضهم: السِّفْر. وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف" انتهى .. ذكره السيوطي في الإتقان ..وعلى أي حال فإن المصحف يطلق على مجموع الصحائف المدون فيها القرآن الكريم، أما القرآن فهو الألفاظ ذاتها.

- ثانيا : الوسائل التي كتبوا عليها القرءان ...

لم تكن أدوات الكتابة متوفرة بالصورة التي نحن عليها اليوم ،بل كان الورق شيئا نادرا جدا ، فما هي الوسائل التي تم كتابة القرءان عليها ؟ سأذكرها مختصرة هكذا :

العسب : وهو جريد النخل...

واللخاف : وهي الحجارة الرقاق ..

والرقاع : تكون من جلد أو ورق ..

الأضلاع : وهي عظام الجنبين ، يعني من عظام البهائم اعزكم الله ..

والأكتاف : وهو ما فوق العضد ..

والأقتاب : الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه..

وقطع الأديم : وهي الجلد المدبوغ ..الورق و الخشب العريض ، و غير ذلك كثير ...

هذه الأشياء هي التي ورد ذكرها في كتابة القرآن الكريم في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

- فوائد على ما سبق :

1- الاهتمام الكبير من الصحابة بكل تفاصيل جمع القرءان ،حتى تسمية الوعاء الذي جمعوا فيه كلام الله ، فقد سموه : المصحف ، فالمصحف هو تلك الأوراق التي جمع الصحابة القرءان بداخلها ، و أما القرءان فهو كلام الله المنزل ..

2- معرفة كيف تعب الصحابة لأجلنا ، حتى جمعوا لنا كلام الله سبحانه ، ثم نحن اليوم نفرط فيه ...

- ## جمع القرءان في المصاحف (٥)..

- حادثة خزيمة بن ثابت في آيتي الأحزاب و التوبة ...

و لما قام زيد بن ثابت الأنصاري بجمع القرءان ، استجابة لأمر خليفة المسلمين أبي بكر الصديق ، كان له شرط في قبول ما يكتبه في المصحف ، أن يأتي الرجل معه بمن يشهد له أنه سمع ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و كتبه عنه ، ثم يجد نفس الآيات مكتوبة عند غيره ، شائعة في صدور الناس من حفظة كتاب الله تعالى ، حتى تطمئن نفسه ..

- ثم نسخ القرءان كله إلا آيتين ، كانتا مكتوبتين عند صحابي واحد ، و لم يكتبهما غيره ، و الصحابي هو : خزيمة بن ثابت الأنصاري ، و الآيتان هما : آية التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » و آية الأحزاب « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ، فلما التقى زيد بخزيمة سأله : هل معك من يشهد أنك كتبت هذا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : لا ، ثم قبل منه الآيتين و كتبهما في المصحف ...

- و سبب قبوله ذلك من غير شهود ، هو أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - جعل شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين ، وذلك بقوله : « من شهد له خزيمة فهو حسبه » اي يكفي،فكانت تزكية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهادة لخزيمة ، و طمأنينة لزيد بن ثابت في قبول الآيتين ..

- و كانت هاتان الآيتان منتشرتين في صدور الصحابة حفظا و تلاوة ، أما كتابة فلا ، و أتم الله كتابة كلامه في مصحف واحد ...

- ## جمع القرءان في المصاحف (٦)..

- المصحف الإمام : الذي جمعوه في عهد عثمان بن عفان ..

- و لما توفي الخليفة أبوبكر الصديق ، و آلت أمور المسلمين إلى عمر بن الخطاب ، ظل المصحف الصّدِّيقي في حيازة الخليفة الشهم عمر بن الخطاب ، ثم ارتقى بن الخطاب شهيدا

على يد أبي لؤلؤة المجوسي ، فلما حدث ذلك ،أخذت أم المؤمنين حفصة نسخة المصحف من عند أبيها ، صيانة له و حفاظا عليه ..

- ثم تولى الخليفة الراشد عثمان بن عفان خلافة المسلمين ، و جهز الجيوش لتكملة الفتوحات التي بدأها ابوبكر ثم عمر ، و التقت جيوش المسلمين من الشام والعراق ، لفتح أذربيجان و ما حولها ، و هي مدن تقع قريبا من روسيا الصليبية أهلكها الله و من عاونها و ناصرها ...

- و في تلك الأثناء حدث أمر جلل ، فما هو ذلك الأمر ؟ كان حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - موجودا مع تلك الجيوش الفاتحة ، فسمع خلافا و نزاعا بين اثنين من حفظة القرءان ، قرأ أحدهم قوله تعالي « و أتموا الحج والعمرة للبيت » !!

فقال له آخر : هذا غلط ، « وأتموا الحج والعمرة لله » البقرة ، فتنازعا و اختلافا ، فلما سمع ذلك حذيفة بن اليمان ، خاف على كتاب الله من التحريف و التبديل ، و ترك الجيوش ليذهب إلى خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فذهب إليه و التقى به ، و قال له : ياعثمان :

أدرك أمة محمد قبل أن يدركها ما أدرك اليهود والنصاري من الاختلاف في الكتاب ، فلما سمع ذلك عثمان ، أدرك الخطر ، وبدأ في معالجة الأمر ...

- فوائد علي ما سبق :

1- خوف الصحابة علي كتاب الله من التحريف والتبديل ، و ظهر هذا في موقف حذيفة بن اليمان ...

2- دور حذيفة بن اليمان في صيانة المصحف ، و غلق باب الفتن و النزاع والخلاف ..

3- وجوب إغلاق أبواب الفتن و الخلاف بين المسلمين ، بمعالجة الأمور وفق قواعد الشريعة ، لا بالسكوت عنها ...

- جمع القرءان في المصاحف (٧)..

المصحف الإمام : الذي جمعوه في عهد عثمان بن عفان ..

- و بدأ عثمان - رضي الله عنه - في اجراءات كتابة المصحف الإمام ، و فعل ما يلي :

1- أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري ، الذي كتب المصحف الصديقي ، و عرض عليه الأمر ، ثم أمره بكتابة نسخة من القرءان ، تكون إماما و مرجعا لكل المسلمين ...

2- أمده بمن يساعده من أهل القرءان و الدراية و منهم :عبدالله بن الزبير ، سعيد بن العاص ، عبدالرحمن بن الحارث ، و قال لهم : يا أصحاب محمد : اجتمعوا و اكتبوا للناس إماما ..

3- أرسل إلى أم المؤمنين حفصة يطلب منها النسخة التي عندها من المصحف الصديقي ، وكانت قد أخذته بعد موت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فامتثلت - رضي الله عنها ، و أرسلته له ..

- ثم بدأ زيد بن ثابت في كتابة المصحف مرة ثانية ، و معه الصحابة الذين ذكرناهم ، فكتبوا نسخة من المصحف ، صارت مرجعا لكل مسلم و مسلمة إلى يوم الدين ، ورتبوه على الترتيب الذي في مصاحفنا اليوم ، من حيث ترتيب السور و الآيات ..

- ثم قام الصحابة بكتابة نسخ متعددة من المصحف الإمام ، ثم وزعوها على المدن والبلدان و الأمصار ، لتكون مرجعا و حجة و إماما للمسلمين ...

- ثم قام أهل القرءان وحفظته و أهل التخصص في كل بلد ، بكتابة نسخ من المصحف الإمام ، يقابلونها بما عندهم من نسخة أمير المؤمنين عثمان ، و كان سبب ذلك ، هو تلبية حاجة المسلمين ، فإن نسخة واحدة في المدينة الواحدة لا تكفي عامة الناس ، و بهذا تم جمع المصحف مرة ثانية على النحو الذي ذكرناه ، و وصل إلينا كما جمعه الصحابة ، وذلك بحفظ الله تعالي له ..

- فوائد على ما سبق :

1- معرفة كيف جمع الصحابة القرءان كما ذكرناه ...

2- أن الله حفظ القرءان من التحريف و التبديل ...

3- فضيلة عثمان - رضي الله عنه - فقد اهتم بكلام ربه وخشي عليه التحريف و البديل ، فأمر بنسخه مرة أخرى ...

• الفرق بين مصحف أبي بكر الصديق ومصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنهما .....

- كتبت هذا المقال من قبل ثم حذفته ، و السبب في ذلك أنني وهمت و أخطأت في أمر يتعلق بهذه القضية المهمة ، و قد نبهتني لذلك الأخت الفاضلة Sara Mohamed Mharbiفراجعت نفسي فعلمت موطن الخطأ ، فلها جزيل الشكر على هذه الإفادة الجديرة بالبحث و الاهتمام ...

- على كل حال أختصر المقال في كلمة وجيزة فأقول : قد عرفنا أن أبابكر الصديق جمع القرءان في عهده بمشورة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - و كان سبب الجمع هو : الخوف من ضياع القرءان بموت حفاظه و القرآء ، فإن القتل فيهم قد استحر في حروب الردة ، فخاف عمر ذلك فأشار بجمعه وتم الجمع ، فكيف جمعه أبوبكر الصديق ؟ والجواب : تولى الجمع كما نعلم زيد بن ثابت الأنصاري ، و معه لجنة من أهل التخصص يساعدوه في ذلك ، فجمعوا القرءان بحسب ما استقر عليه الوضع في العرضة الثانية للقرءان ، فحذفوا المنسوخ و مالم يتواتر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكنهم جمعوه بكل لغاته التي نزل بها ، فالقرءان نزل على سبعة أحرف ، أي لغات ، و المقصود هو : نزوله بلهجات العرب المختلفة ، و قد قرأ بها كلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و كان ذلك تيسيرا على الناس ، ورفعا للحرج عنهم بتعدد لغاته ...

- العرب تعبر عن المعنى الواحد بألفاظ متعددة مثل : أقبل ، هلم ، تعال ، كلها بمعنى واحد ، فالخلاف لفظي ، وهكذا جمع الصديق القرءان بكل الأحرف أي : اللهجات ، و لم ينكر أحد على أحد لأنها كلها صحيحة و متواترة ، وظل الأمر هكذا حتى عهد عثمان بن عفان ...

- لما جمعه عثمان كان السبب هو اختلاف الناس و تنازعهم في هذه اللهجات ، كل واحد يرى أن الحرف الذي يقرأ به هو القرءان ، و ما سواه ليس قرءانا ، حتى كفر بعضهم بعضا ، و تقاتلوا و تنازعوا ....

- وهنا قام عثمان بجمعه مرة ثانية ، لكن ليس بكل اللهجات ، بل بلهجة قريش ، و هم الأفصح و الأبلغ ، فطلب عثمان مصحف أبي بكر من أمنا حفصة - رضي الله عنها - ، ثم أعاد كتابته ، لكنه حذف منه كل لهجة غير لهجة قريش ، وجعل المصحف على حرف واحد اي لهجة واحدة ، و هي لهجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و لهجة أبي بكر و عمر و علي ...

- و أرسله إلى الأمصار و المدن ، و أرسل مع كل نسخة قارئا يعلم الناس ، ثم أمر بحرق المصاحف التي تخالف ما في هذا المصحف العثماني ، و بهذا انتهت الفتنة و النزاع ... هذه كلمة موجزة و مختصرة ، و انا أطلب منكم أن تتوسعوا في البحث في علوم القرءان ، فما كان الفيس بوك يوما مكانا للتوسع في علوم الشريعة ....

- **نقط المصحف وتشكيله (١)..**

- المصحف الذي تم جمعه في عهد أبي بكر و عهد عثمان – رضي الله عنهما - لم يكن منقوطا و لا مشكولا كما نراه اليوم ...

- و لم يكن في ذلك ضرر على الصحابة و من بعدهم ، لأنهم أهل الفصاحة و البلاغة و تلك لغتهم التي يفهمون ، ثم إنهم سمعوا القرءان من الرسول - عليه الصلاة والسلام - فكانوا يعتمدون في ضبطه على التلقي و السماع ...

- و نوضح الصورة بمثال :

نحن نكتب حرف الدال هكذا : د ، و الذال هكذا : ذ ، و كان الصحابة يكتبونهما هكذا : د ، د ، هل هناك فرق بينهما ؟ الجواب : لا ، لأنه لا نقط فيهما ، و على هذه الصورة قس كل كلمات القرءان ، خذ مثلا هذه الصور : ح ..ح .. ح .. و بعد النقط : ح .. ج .. خ ... أرأيتم الفرق ؟ ... ص .. ص .. و بعد النقط : ص .. ض ... ر .. ر .. وبعد النقط : ر .. ز ... ع ... ع ... وبعد النقط : ع ..غ ...

- فكانت كلمات القرءان تكتب بهذه الحروف المتشابهة ، والتي لا يفهمها إلا أهل القراءة والكتابة من فصحاء اللغة ..

- و كذلك لم يكن القرءان مشكولا في حروفه ، كيف ذلك ؟ خذ مثلا هذه الجملة : ضرب زيد عمرو ، لا نجد على آخر حروف هذه الكلمات ضمة أو فتحة أو كسرة ، لذلك لو سألتكم : أين الفاعل ؟ لن تجيبوا ، لأن هذه العلامات الثلاث هي التي نميز بها وظائف الكلمات في الجملة ، طيب : لو قلت : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، ثم سألت : أين الفاعل ؟ فإنه يجيب بأنه زيد ، لأن زيدا آخره ضمة ، وهي ضمة الفاعلية ، و كذلك « عمرا » عليه فتحة المفعولية ، و بهذا يتضح الفرق ...

- عدم وجود النقط و الشكل بالحركات كان سببا في صعوبة ضبط القرءان عند المسلمين الجدد ، الذين أسلموا في الفتوحات ، و كانوا عجما لا عربا ، فلذلك بدأت حركة نقط القرءان وشكله ، و سنرى كيف تصدى النحويون لهذه المشكلة ، رحم الله النحاة ...

- **نقط المصحف وتشكيله (٢)..**

- جهود أبي الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو ...

- أول من تعرض لهذا الأمر هو شيخ النحاة - رحمهم الله - أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو و مؤسس قواعده ، و سبب ذلك قصة وقعت في زمن الملك العادل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - و خلاصتها :

- أرسل معاوية إلى زياد بن أبيه و كان واليا على البصرة في زمن حكم معاوية ، فقال له :

أرسل لي ابنك عبيد الله ، فأرسله له : فلما التقى به معاوية ، سأله عن أشياء كثيرة ، و سأله عن الشعر فلم يجبه بشئ ، و سمع معاوية منه لحنا في كلامه ، فتأذى من لحنه في صياغة الكلام ، فأرسل إلى زياد بن أبيه يعيب عليه ذلك ، فأرسل زياد بن أبيه إلى أبي الأسود الدؤلي

و لما حضر قال له : إن اللحن قد شاع في كلام الناس ، فلو وضعت شيئا للناس يصلحون به ألسنتهم ، و يعربون به كلام الله تعالى ، فلم يقبل أبو الأسود الدؤلي و انصرف ...

- فلجأ زياد إلى حيلة؛ بأن وضع في طريقه رجلا وقال له: إذا مرّ بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من القرآن، وتعمد اللحن فيه، فلما مرّ به قرأ قوله تعالى: « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » بجرّ لام رسوله، فشق ذلك على أبي الأسود، وقال: (عزّ وجه الله أن يتبرأ من رسوله) و قال لزياد: (قد أجبتك إلى ما طلبت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن) ، واختار رجلا من عبد القيس، وقال له: خذ المصحف، وصِبغًا يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف (أي أمامه) ، فإذا أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة (أي تنوينًا) ، فانقط نقطتين...

- و كانت هذه أول خطوة في طريق نقط و تشكيل القرءان ، ثم تابع النحاة جهودهم في ذلك الأمر ...

- فوائد على ما سبق :

1- أن نقط وتشكيل القرءان قام به علماء النحو ، و كان أولهم أبا الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو ..

2- ما قام به الإمام النحوي أبو الأسود هو : ضبط أواخر كلمات القرءان من حيث الرفع و النصب و الجر ، فجعل علامة الرفع نقطة أمام الحرف و علامة النصب نقطة فوقه و علامة الجر نقطة تحته ، و سيأتي معنا أن النحاة استبدلوا هذه النقط بالضمة و الفتحة و الكسرة ...

3- بيان منزلة النحاة و عظيم فضلهم في صيانة كلام الله ...

• نقط المصحف و تشكيله (٣)...

- جهود الإمامين النحويين نصر بن عاصم الليثي و يحيى بن يعمر في نقط و تشكيل المصحف الشريف ...

- و لم يكن ما فعله النحوي الكبير أبو الأسود الدؤلي كافيا لمعالجة قضية اللحن و انتشار العجمة في ألسنة المسلمين الجدد من مسلمة الفتح ، و إن كانت جهوده - رحمه الله - قد عالجت شيئا من تلك المشكلة ، إلا أنها لم تكن كافية ..

- ثم إن العجمة (بضم العين و سكون الجيم) قد تفشت بصورة أزعجت خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان - رحمه الله - ، فأمر بن يوسف الثقفي أن يضع علاجًا لمشكلة تفشي العجمة، وكثرة التصحيف، فاختار كلا من نصر بن عاصم، ويحيى بن يَعْمَر لهذه المهمة ، لأنهما أعرف أهل عصرهما بعلوم العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها ...

- و بعد البحث والتروي، قررا إحياء نقط الإعجام ، وقررا الأخذ بالإهمال والإعجام، مثلا الدال والذال، تهمل الأولى وتعجم الثانية بنقطة واحدة فوقية هكذا :

الدال : د ، و الذال : ذ ، الأولى مهملة و الثانية معجمة ، كذلك الراء والزاي هكذا : ر ، ز ، الأولى مهملة و الثانية معجمة ، و هكذا في كل الحروف ، النقط نسميه إعجاما و عدم النقط نسميه إهمالا ، و بهذا يزول اللحن و الخطأ في النطق بالقرءان ، لأنه صار لدينا ميزانا نفرق به بين الحروف المتشابهة في صورتها و المختلفة في نطقها .... والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين هكذا : ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ما دخله النقط هو المعجم ، و ما خلا منه هو المهمل و على ذلك قس كل حروف الهجاء ...

- و بهذا صارت كلمات القرءان أسهل في النطق و القراءة ، بجهود هذين الإمامين النحويين و هما امتداد أبي الأسود الدؤلي - رحم الله جميع النحاة و رحمني معهم - ، و سنختم مسألة النقط والإعجام بجهود الخليل بن أحمد في المقال القادم ...

- نقط المصحف وتشكيله (٤)...

- الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه ..

- و أتم الله حفظ كتابه بالخليل بن أحمد الفراهيدي ، شيخ النحاة من زمنه إلى يوم الدين - رحمه الله - ..

- حيث قام الخليل بن أحمد باستعمال الضمة و الفتحة و الكسرة ، و جعلهم علامة الرفع والنصب و الجر في أواخر الكلمات ، بدلا من النقط التي جعلها أبو الأسود الدؤلي ...

- فجعل الضمة علامة الرفع ، و الضمة بعض الواو ، و جعل الفتحة علامة النصب ، وهي ألف مضجعة صغيرة ، و هي بعض الالف ، و جعل الكسرة علامة الجر و هي بعض الياء ، و بهذا اكتمل نقط المصحف و شكله على يد الخليل ..

- و كان مما صنعه الخليل ، أنه استعمل الشدة على الحروف ، ليفهم القارئ أن الحرف مكرر ، و استعمل الضمتين و الفتحتين والكسرتين ، في حال الكلمة المنون آخرها ...

- فوائد على ما سبق :

1- معرفة كيف تم نقط المصحف وتشكيله ...

2- بيان جهود النحاة في صيانة كتاب الله سبحانه ...

3 - معرفة أسماء النحاة الذين صانوا كتاب الله سبحانه و هم :

- الإمام أبو الأسود الدؤلي تلميذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ....

- الإمام نصر بن عاصم الليثي ...

- الإمام يحى بن يعمر ..

- الخليل بن أحمد الفراهيدي ...

- الأوعية التي نزل فيها القرءان ..

- نزل القرءان في ثلاثة أوعية :

- أولها : اللوح المحفوظ ...

ودليله قول سبحانه: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} ، وكان هذا أول وعاء يتنزل فيه القرءان كاملا ، فنزل جملة واحدة في اللوح المحفوظ ، كما دل عليه ظاهر الآية و لا معارض لها .

- فإن قال قائل : كيف نزل في اللوح المحفوظ و متى ؟ فالجواب أن نقول : إن كيفية نزوله و وقت ذلك غيب لا يعلمه إلا الله وحده ، أو من أطلعه الله على علم ذلك ، فيجب الإيمان بذلك جملة و على الغيب ...

- واللوح المحفوظ هو سجل جامع لكل ما قضى الله وقدره في الحياة ، ففيه حفظ الله سبحانه علم الأولين و الآخرين ، و هو من مظاهر قدرة الله سبحانه ، قال تعالى : « ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » سورة الحديد ...

- ثانيا : بيت العزة في السماء الدنيا ...

والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} . وفي سورة القدر {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} . وفي سورة البقرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} .الآيات ...

- و أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: فصل (بضم الفاء و كسر الصاد) القرآن من الذكر (أي : اللوح المحفوظ) فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي -صلى الله عليه وسلم- ...

- وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض.

- فهذه الآثار الصحيحة تدل على أن القرءان فصله الله من اللوح المحفوظ ، ثم أمر بنزوله في بيت اسمه : بيت العزة ، في السماء الدنيا ،بل ذكر السيوطي أن القرطبي نقل حكاية الإجماع على نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

- ثالثا : قلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ...

ودليله قول الله تعالى في سورة الشعراء مخاطبا لرسوله عليه الصلاة والسلام: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} الآية ...

- نذكر في مقالنا هذا مسألة واحدة وهي :

. كيف أخذ جبريل - عليه السلام - القرءان ؟ ...

و الجواب عن ذلك أن نقول : إن جبريل - عليه السلام- سمع القرءان من رب العزة عز جلاله ، ثم نزل به على محمد – صلى الله عليه وسلم - فأقرأه إياه كما سمعه ، و الدليل قوله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » سورة القدر : 1 ، و قد قال الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » ج1/263 : أي : إنا أسمعناه الملك و أفهمناه إياه و أنزلناه بما سمع ..انتهي ...

- و روى محمد بن خزيمة في كتاب التوحيد عن النواس بن سمعان مرفوعا إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - :

أن الله إذا تكلم بالوحي رجفت السماء و رجفت الملائكة خوفا من الله وتعظيما له ، ثم قال : « فيكلم الله جبريل بالوحي بما اراد » الحديث ، فدلت هذه الرواية علي أن الله يكلم جبريل بالوحي ، و هو ما يؤيد ما ذكرناه من سماع جبريل للقرءان من الله عزوجل ...

- وفي المسألة أقوال أخرى لا دليل عليها ، و هذا أقربها للصواب ، و لكني لا أجزم بصحته ، بل أقول هو الأقرب و الأظهر ، و المسألة خلافية ....

- نذكر في مقالنا هذا **مسألة نزول القرءان مفرقا** فنقول :

. ابتداء نزول القرءان على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كان في ليلة الحادي والعشرين من رمضان و كانت هي ليلة القدر في أصح الأقوال التي نطمئن إليها ، و إن كان البعض يقول إنها ليلة السابع عشر من رمضان و هو ضعيف لعدة امور ذكرها المبارك فوري في الرحيق المختوم نقلا عن العالم الفلكي المنصورفوري فليراجعه من شاء ..

. قلنا إن القرءان نزل جملة واحدة إلي بيت العزة في السماء الدنيا ، يعني نزل كله في ذلك البيت الشريف كما نقلناه عن عبدالله بن عباس ترجمان القرءان و لا نعلم لذلك مخالفا ..

. ثم نزل القرءان بعد ذلك آية آية ، أو سورة كاملة ، أو بعض السورة ، فلم ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة واحدة كله ، و إنما نزل بحسب الحوادث و بحسب أطوارالدعوة النبوية ، و بحسب مراحل القتال ، و لنا أن نقول : إنه نزل بحسب الحاجة التشريعية التي تضبط أحوال المجتمع المسلم ، و نحن نعلم أن الخمر حرمها الله سبحانه بتدرج و على مراحل ، فكانت الآيات تنزل بحسب الحاجة و بمقتضى الحكمة الإلهية كما نعلم جميعا ...

. والدليل قوله تعالي « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » الإسراء : 106 ، يعني : أنزلناه عليك يا محمد مفرقا وليس جملة واحدة ، و هذا له حكم و أسرار تأتي في وقتها..

. و يبدو أن القرءان امتاز عن غيره من الكتب السماوية بهذه الخاصية ، يظهر ذلك في قوله تعالي :« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة » سورة الفرقان ، فإن المشركين عابوا نزول القرءان مفرقا ، فتزلت الآية توضح و تبين حكمة التفريق بقوله

سبحانه : « كذلك لنثبت به فؤادك » الآية ، ففي نزوله متفرقا تثبيت له - صلى الله عليه وسلم - و لأمته ...

. فوائد على ما سبق :

1- القرءان نزل مفرقا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ..

2- التوارة و الإنجيل و الزبور و كل ما نزله الله من كتبه قد نزل جملة واحدة ...

3- أن نزول القرءان مفرقا هو من خصائصه و هو المشهور في قول العامة من العلماء ...

- ## الحكمة في نزول القرءان مفرقا ...

- نذكر في مقالنا هذا بعض أسرار نزول القرءان مفرقا و منها :

1) تثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - ....

. يظهر ذلك في العناية الإلهية به - عليه الصلاة والسلام - فإن نزول القرءان مفرقا على الأيام و الاسابيع و الشهور والسنين ، هذا يعني : أن الصلة بين الرسول - عليه الصلاة والسلام - و بين الوحي السماوي لا تنقطع ، بل هو في صلة دائمة بربه عز جلاله ، يرعاه في كل وقت ، و يدبر أموره ، و يرشده لما فيه الخير في الدين والدنيا ...

. و إذا كانت تلك طبيعة الوحي ، فإن ذلك يدخل السرور على قلب الحبيب - عليه الصلاة والسلام - و يشعره بالأنس بربه ، و يقوي قلبه ، و يثبت فؤاده ...

2) تيسير حفظه و فهمه و معرفة أحكامه ...

. فلو نزل جملة واحدة لشق حفظه و فهمه على الرسول - عليه الصلاة والسلام - فلذلك نزل مفرقا ، ليتمكن من حفظه و دراسته و معرفة أحكامه و العمل بها كلها ...

3) التدرج في تربية جيل الصحابة ليتمكنوا من حمل الأمانة ..

. لم يكن القرءان كتابا يخص رسول الله وحده ، و إنما كان كتابا يهدي أمة آمنت برسول الله و آمنت بهذا القرءان ، فكان من المناسب أن ينزل مفرقا ، ليعمل في نفوسهم بأريحية ترسخ في قلوبهم الإيمان الكامل ..

. و لو نزل جملة واحدة كيف يعمل في نفوسهم ؟!

إن الحق لو حمله الناس جملة ، فإنهم يتركونه جملة ، لذلك نزل في قلوبهم متدرجا ليتمكن منها ، و يرسخ فيها معاني الصبر و الثبات ، و ليجدد فيها الإيمان الحق الكامل ، فخرجت من بين دفتيه خير أمة للناس ...

4) معالجة الاحداث التي وقعت في زمان النبوة ..

. أحداث كثيرة وقعت في زمن النبوة ، تحتاج جوابا حاضرا ، و حكما فاصلا ، حادثة اتهام أم المؤمنين المبرئة ، مشاكل المنافقين ، قضية التبني ، قضية الظهار ، وغيرها كثير ، فكان لابد من نزوله مصاحبا حدوثها ، ليعالجها في وقتها المتحتم لها دون سبق أو تأخير ...

. إن الشريعة الإلهية لا تسبق الحدث و لا تفترض وقوعه ، و لكنها تتلقفه وقت حدوثه و تقضي فيه بقضائها الحق ،لأنه شريعة واقعية لا هلامية ...

- و أخيرا : لدي كم كبير من الحكم و الأسرار ، اكتفي بما ذكرته ، لأنني أخشى زهد القارئ في العلم بطول المقال ، لكن أنبه علي أهمية هذه المسالة و الاعتناء بها و الله الموفق ...

- أول ما نزل و آخر ما نزل من القرءان ...

- هذا الباب من أهم أبواب علوم القرءان ، لأننا لن نتمكن من معرفة الناسخ والمنسوخ إلا من خلال الدراية التامة بترتيب نزول الآيات والسور ، و كذلك به نعرف تاريخ التشريع الإسلامي ، فيجب الاهتمام به جيدا ...

- و مسألتنا هي : معرفة أول ما نزل و آخر ما نزل من كتاب الله ، و هي مسألة مشهورة ، لا يليق إغفالها ، فنقول :

الأصح أن أول ما نزل من القرءان صدر سورة « العلق » ، و ذلك في الحادثة المشهورة ببدء الوحي المطهر ..

- روى ذلك البخاري في الصحيح في كتاب بدء الوحي ، و الحاكم في المستدرك و البيهقي في دلائل النبوة و غيرهم كثير من محدثي الأمة ، و هي قصة ظهور جبريل لرسول الله في غار حراء - عليهما الصلاة والسلام - و هي قصة مشهورة ...

- و قيل أول ما نزل « يأيها المدثر » و ليس بقوي ، و قيل : اول ما نزل هو فاتحة الكتاب ، و يذكرون في ذلك حديثا لا يصح ، و قيل : أول ما نزل البسملة ولا يثبت ايضا ،

فالخلاصة أن صدر « العلق » اقرأ باسم ربك هو أول ما نزل ...

- و أما آخر ما نزل فهو آية البقرة « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » 281 ، و قيل : آية الدين ، و قيل « اليوم أكملت لكم دينكم » و قيل : سورة المائدة ، على كل حال هذه إشارة لأهمية هذا الباب ...

- نزول القرءان على سبعة أحرف ...

- وردت نصوص كثيرة تدل على أن القرءان نزل بسبعة أحرف ، روى ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جمع كبير من الصحابة الكرام منهم : عمر و عثمان و ابن مسعود وأبو هريرة و عبد الرحمن بن عوف ، و سعيد بن العاص ، و أم أيوب زوجة أبي أيوب الأنصاري ، و غيرهم كثير حتى بلغت هذه الروايات حد التواتر المعنوي كما قال العلماء ...

- و قد روى القاضي أبو يعلى في مسنده الكبير عن عثمان

- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال : « أنزل القرءان على سبعة أحرف كلها شاف كاف » ...

- و مسألتنا هي : ما المراد بالأحرف السبعة ؟

- و الجواب عن ذلك أن نقول : الأحرف السبعة أي : اللهجات التي نطق بها العرب ، وهذه اللهجات تتفق في معناها ، و لكنها تختلف في الصورة اللفظية ، ولذلك قال ابن مسعود : إنما هو كقول أحدكم: أقبِل، وَهَلُمَّ، وَتَعَال ...

- فنزل القرءان بلهجة قريش أولا ، و هي الأفصح و الأبلغ ، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدرك أن هناك من قبائل العرب من لا يستطيع القراءة بها ، فطلب التوسعة ورفع الحرج عن أمته ، فقرأ له جبريل بتلك الأوجه تيسيرا على الناس و رفعا للحرج عنهم ...

- و هذه الأحرف تتفق في اللفظ والمعنى في مجملها ، إلا أنها تختلف لفظا في بعض كلماتها ، و العرب تسمي الشئ بأكثر من لفظ ، فتسمي السكين مدية (بضم الميم) ، فمن قال السكين أو المدية فقد بلغ المعنى ولا إشكال ...

- و لما جمع أبو بكر الصديق القرءان ، جمعه بهذه الأحرف السبعة ، ثم جمعه عثمان على حرف واحد ، و هو ما نطقت به قريش ، و هذا جمعا للأمة و انهاء للخلاف و الشقاق ...

- و قد أجمع الصحابة على صحة ما فعله عثمان و لم ينكروا عليه ، لما في ذلك من المصلحة الكبرى ، و هي جمع المسلمين على كلام ربهم عز جلاله ...

- ولو أردنا أن نضرب مثلا نقرب به مسألة الأحرف السبعة ، فمثال ذلك : أوجه القراءات المتواترة ، فإن الآية الواحدة ، تتعدد أوجه قراءتها ، و مع ذلك لا تعارض و لا تضاد بين هذه الأوجه ، و هذا كما في { ربنا بَاعَدَ} و{بَاعِدْ} سبأ:19]، {إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا} [البقرة:229] و{إلا أن يُخافا ألا يقيما } {وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ }و[ليزول] [إبراهيم:46]، و {بَلْ عَجِبْتَ} و (بل عجبتُ) الصافات:12] ونحو ذلك.

- و لكن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة المتواترة ، وهذا باتفاق العلماء ....

• أهمية علم أسباب النزول ...

- القرءان الكريم قسمان من حيث النزول :

الأول : قسم نزل ابتدآء بلا سبب يرتبط به ، لكنه نزل هداية للخلق و إرشادا لهم ، و القسم الثاني : قسم نزل لسبب خاص ، مثل آيات الظهار التي نزلت في خولة - رضي الله عنها - ،ومنه آيات تبرئة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها ...

- و العلماء جمعوا الآيات التي نزلت في حوادث خاصة ، و صنفوا فيها الكتب ، و من ذلك : أسباب النزول للواحدي ، و لباب النقول للسيوطي و غير ذلك من المصنفات ...

- و السؤال هو : ما هي فائدة دراسة أسباب النزول ؟

و الجواب أن نقول : لا يتمكن دارس القرءان من فهمه إلا إذا علم سبب نزوله إن كان له سبب خاص نزل لأجله ، حتى قال الواحدي في رسالته : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها .. انتهى ... و بمثله قال ابن تيمية و كثير ...

- و نوضح ما قررناه بمثال فنقول :

قوله تعالى « وللّه المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله » آية البقرة ، ظاهر الآية يدل على أن المسلم لو صلى إلى أي اتجاه ، فصلاته صحيحة ، و لا يشترط استقبال القبلة ، و هذا غلط باتفاق العلماء ، لأن الآية نزلت في الذي يصلي النافلة على راحلته ، يعني على ناقته أو السفينة ، فلو انحرفت الناقة أو السفينة عن القبلة فلا إشكال ، فالآية تخص النافلة دون الفريضة ، و هذا ما قاله ابن عمر : نزلت في صلاة المسافرعلى الراحلة ، أي صلاة النافلة ...

- فهذا المثال يدل بوضوح على أن معرفة أسباب النزول له أثر بالغ في فهم كتاب الله تعالى ...